قصص إسلامية للأطفال

ثلاثة في الامتحان

تأليف
محمد منير الجنباز

مكتبة
التوبة

© مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجنباز، محمد منير
ثلاثة في الامتحان.. الرياض
٣٦ص، ١٧×٢٤سم.ـ (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)
ردمك: ٥ - ٥٠ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠
١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان
ب - السلسلة
ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨٢١

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨٢١
ردمك: ٥ - ٥٠ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جَمِيعُ حُقُوقِ الطَّبْعِ مَحْفُوظَة

طبعة جديدة منقحة

التوبة
الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء:

اجتَمَعَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ من ذَوِي الْعَاهَاتِ تَحْتَ شَجَرَةِ تُوتٍ كَبِيْرَةٍ، الأَوَّلُ أَقْرَعُ واسْمُه أَنِيْسٌ، والثَّاني أَبْرَصُ واسْمُه بَدْرٌ، والثَّالِثَ أَعْمَىٰ واسْمُه سَعِيْدٌ..

وَكَانَ وَقْتُ الاجْتِمَاعِ عَادَةً بَعْدَ الْعَصْرِ، يَجْتَمِعُ فِيهِ هَؤُلاءِ الثَّلاثَةُ، وَيَتَبَاحَثُونَ في أُمُورٍ

الدُّنْيَا، وَيَتَبَادَلُونَ الْحَدِيثَ حَوْلَ مَا يَجْرِي مِنْ أَحْدَاثٍ تَشْغَلُ بَالَ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُونَ إِلَى الْحَدِيثِ عَنْ مُشْكِلاَتِهِمُ الخَاصَّةِ، فَيَقُصُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى زَمِيلَيْهِ مَا حَصَلَ لَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ أُمُورٍ وَنُكَاتٍ وَمُفَاجَآتٍ، مِنْهَا الجَادُّ وَمِنْهَا المُضْحِكُ، وَكَانُوا يُقَهْقِهُونَ مَعَ سَمَاعِ كُلِّ نُكْتَةٍ تُطْلَقُ، أَوْ مُفَاجَأَةٍ تُثَارُ، فَيَرْتَفِعُ صِيَاحُهُمْ وَتَعْلُو ضَحِكَاتُهُمْ.

هَكَذَا كَانَتْ تَمُرُّ عَلَيْهِمْ تِلْكَ السُّوَيْعَاتُ الَّتِي كَانُوا يَلْتَقُونَ فِيهَا تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، ثُمَّ

يَتَفَرَّقُونَ بَعْدَ هَذَا اللِّقَاءُ لِيُجَدِّدُوهُ في يومٍ تَالٍ.

وفي ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أوائِلِ أَيّامِ فَصْلِ الصَّيْف، وفي أَثْنَاءِ نُضْجِ التُّوتِ، الْتَقَى الجَمِيعُ كَعَادَتِهِمْ وَتَبَادَلُوا الأَحَادِيثَ المُسَلِّيَةَ والضَحِكَاتِ الصَّاخِبَةَ، وَبَدَا كُلٌّ مِنَ الأَقْرَعِ وَالأَبْرَصِ فِي غَايَةٍ مِنَ السُّرورِ والانْشِرَاحِ، فَقَدْ كَانَا يَأْكُلاَنِ مِنْ حَبَّاتِ التُّوتِ المُتَسَاقِطَةِ قُرْبَهُمَا بَيْنَ حِيْنٍ وَآخَرَ، وَهُمَا يَضْحَكانِ، وَالأَعْمَى الْمِسْكِيْنُ يَضْحَكُ مَعَهُمَا دُوْنَ أَنْ يَدْرِيَ سَبَباً لِلضَّحِكِ أَحْيَاناً، بَلْ كَانَ يُجَامِلُ صَدِيْقَيْهِ وَيَضْحَكُ مِثْلَهُمَا، وَصَدِيْقَاهُ

يَزِيْدَانِ في الضَّحِكِ مِنْ هَذَا المَوْقِفِ، إِنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ وَالأَعْمَىٰ لاَ يَأْكُلُ، لأَنَّهُ لا يَرَىٰ ما حَوْلَهُ، وَأَرادا أَنْ يَفْتَخِرَا عَلَى الأَعْمَى، فَقَالَ الأَبْرَصُ: حَظِّي الْيَوْمَ كَبِيْرٌ، وَقَالَ الأَقْرَعُ: وَأَنَا كَذَلِكَ يَا صَدِيقِيَّ، ثُمَّ تَغَامَزَا عَلَى الأَعْمَىٰ وَضَحِكَا، وَضَحِكَ الأَعْمَىٰ مَعَهُمَا وَهُوَ رَافِعُ الرَّأْسِ لِلأَعْلَىٰ دُوْنَ أَنْ يَدْرِيَ هَذِهِ المَرَّةَ سَبَبَ ضَحِكِهِمَا أَيْضاً، فَسَقَطَتْ في فِيْهِ[1] حَبَّةُ تُوْتٍ كَبِيْرَةٌ، فَمَضَغَهَا وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللّهِ الرزَّاقِ،

(١) في فيه: أي في فمه.

مَا أَلَذَّ طَعْمَ التُّوتِ،! فَحَسَدَهُ الأَقْرَعُ، وَقَالَ لَهُ:

لَقَدْ رُزِقْتَ حَبَّةَ تُوتٍ دُوْنَ أَنْ تَسْعَى لَهَا، إِنَّكَ

لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، لَيْتَهُ يَأْتِيْنَا مَا نَتَمَنَّاهُ دَوْماً، وَقَالَ

الأَقْرَعُ: لَيْتَ مَا نَتَمَنَّاهُ يَأْتِيْنَا سَهْلاً مِثْلَ حَبَّةِ

التُّوتِ الَّتِي سَقَطَتْ فِي فِيْكَ دُوْنَ أَنْ تَسْعَىٰ لَهَا.

قَالَ الأَعْمَىٰ: إِنَّكُمْ تَحْلُمُونَ، أَمِنْ أَجْلِ

حَبَّةِ تُوتٍ رَزَقَنِي اللّٰهُ إِيّاهَا ذَهَبَتْ بِكُمْ أَحْلاَمُكُمْ

وَأُمْنِيَاتُكُمْ بَعِيْداً؟! لِنَفْتَرِضَ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنّا

أُمْنِيَةً، فَمَاذَا سَيَتَمَنَّىٰ يَا تُرَىٰ؟

قَالَ أَنِيسٌ - بَعْدَ أَنْ صَحَّحَ جِلْسَتَهُ - أُمْنِيَتِي

أَنْ يَنْبُتَ شَعْرِيْ، وَأُرْزَقَ وَلَوْ نَاقَةً واحِدَةً، أَتَغَذَّىٰ مِنْ لَبَنِهَا إِذَا جِعْتُ، وَتَحْمِلُنِي إِذَا سَافَرْتُ. ثُمَّ تَبِعَهُ بَدْرٌ، وَقَال: وَأَنَا أَتَمَنَّىٰ أَنْ أُشْفَىٰ مِنْ بَرَصِي، وَأُرْزَقَ وَلَو بَقَرَةً وَاحِدَةً، فَإِنِّي أُحِبُّ حَلِيْبَ البَقَرِ، ثُمَّ قَالَ سَعِيْدٌ: أَنَا قَنُوْعٌ أَتَمَنَّى أَنْ يُرَدَّ لي بَصَرِي، لأُبْصِرَ طَرِيْقي، وَأُرْزَقَ وَلَوْ شَاةً وَاحِدَةً، فَأَنَا أُحِبُّ حَلِيبَ الغَنَمِ.

وَقَالَ بَدْرٌ: مَا لِهَؤُلاَءِ الأَغْنِياءِ لاَ يُعْطُونَنَا مِنْ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ شَيْئاً؟ وَاللّهِ لَوْ كُنْتُ غَنِيًّا لَتَصَدَّقْتُ حَتّى أُغْنِيَ الفُقَرَاءَ. وَتَكَلَّمَ أَنِيْسٌ بِمِثْلِ

مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَبْرَصُ، وَكَذَلِكَ تَكَلَّمَ الأَعْمَىٰ..

ثُمَّ غَادَرُوا مَجْلِسَهُمْ إِلى بُيُوْتِهِمْ، وَهُمْ مُنْتَشُونَ سُعَدَاءُ بِمَا تَمَنَّوا مِنْ أُمْنِيَاتٍ.

الأَمَانِي تَتَحَقَّقُ:

وفي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِي، قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، طَرَقَ طَارِقٌ بَابَ أَنِيْسِ الأَقْرَعِ، فَلَمَّا فَتَحَ أَنِيْسٌ البَابَ، دَفَعَ إِلَيْهِ الطَّارِقُ نَاقَةً عَشْرَاءَ[1] وَقَالَ: هَذِهِ هَدِيَّةٌ لَكَ، فَفَرِحَ بِهَا أَنِيْسٌ كَثِيراً، وَقَالَ: هَذِهِ أُمْنِيَتِي، ثُمَّ مَسَحَ الطَّارِقُ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِ أَنِيْسٍ

(١) الناقة العشراء: التي حملت وقرب وقت ولادتها.

ٱلأَقْرَعِ، وَابْتَعَدَ حَتّى غَابَ عَن بَصَرِ أَنِيْسٍ، وَذَهَبَ الطَّارِقُ إلى بَيْتِ بَدْرٍ، وَقَرَعَ بَابَه فَلَمّا فَتَحَ بَدْرٌ الْبَابَ، دَفَعَ إلَيْهِ الطَّارِقُ بَقَرَةً عَشْرَاءَ وقَالَ: هَذِهِ أُمْنِيَتُكَ، فَفَرِحَ بَدْرٌ واسْتَلَمَهَا وَهي تَخُورُ بِصَوْتٍ مُتَقَطِّعٍ، وَتَهُزُّ رَأْسَهَا، وَتُدَاعِبُ بِلِسَانِهَا الطَّوِيلِ يَدَ بَدْرٍ، فَازْدَادَ بِهَا فَرَحاً، لأَنَّها حَقِيْقَةٌ لا حُلُمٌ، ثُمَّ إِنَّ الطَّارِقَ مَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى جِلْدِ بَدْرٍ وَابْتَعَدَ حَتّى غَابَ عَنِ الأَبْصَارِ. ثُمَّ ذَهَبَ الطَّارِقُ إلى سَعِيْدٍ، وَقَرَعَ بَابَهُ، فَتَلَمَّسَ سَعِيْدٌ طَرِيْقَهُ إلى البَابِ وَفَتَحَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: مَنِ الطّارِقُ؟ فَوَضَعَ الطّارِقُ بَيْنَ يَدَيْ

سَعِيدٍ شَاةً سَمِيْنَةً عَشْرَاءَ، لَهَا ثُغَاءٌ، وَقَالَ لَهُ: هَذِهِ الشَّاةُ هَدِيَّةٌ لَكَ، فَفَرِحَ بِهَا الأَعْمَىٰ كَثِيراً، وَشَكَرَ لِلْطَّارِقِ صَنِيْعَهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: هَذِهِ والله أُمْنِيَتِي، ثُمَّ إِنَّ الطَّارِقَ مَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى عَيْنَيّ سَعِيْدٍ، ثُمَّ ابْتَعَدَ. وَمَرَّتِ الأَيَّامُ، فَإِذَا بِالأَقْرَعِ يَنْبُتُ شَعْرُهُ، وإذا بِالأَبْرَصِ يُشْفَىٰ مِنْ مَرَضِهِ، وإِذَا بِالأَعْمَىٰ يُبْصِرُ طَرِيْقَهُ على أَحْسَنِ ما يَكُونُ البَصَرُ حِدَّةً وَتَجْلِيَةً لِلأَشْيَاءِ، لَقَدْ فَرِحَ أَنِيْسٌ كَثِيراً بِشَعْرِهِ الجَمِيلِ، وَاقْتَنَى لِذَلِكَ مِشْطاً حَتّى يُسَرِّحَ شَعْرَهُ. وَكَانَ فَرَحُ بَدْرٍ لاَ يَقِلُّ عَنْ فَرَحِ أَنِيْسٍ وسَعِيْدٍ، فَقَدْ

شُفِي مِنْ مَرَضِهِ المُنَفِّرِ، وأَصْبَحَ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يُخَالِطَ النَّاسَ الذينَ هَجَروهُ وابْتَعَدُوْا عَنْهُ، وَكَذَلِكَ الأَعْمَى أَبْصَرَ كُلَّ شَيْءٍ، الْحَدَائِقَ الْجَمِيْلَةَ، والْطُّيُورَ المُلَوَّنَةَ المُغَرِّدَة، والنَّاسَ، لَقَدْ رَأَى النُّورَ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَعِيْشُ في الظَّلَامِ.

وَمَضَتِ الأَيَامُ، وَأَصْبَحَ لأَنِيْسٍ قَطِيعٌ مِنَ الإِبلِ يَرْعَاهُ وَيَتَفَقَّدُهُ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَأَصْبَحَ لِبَدْرٍ قَطِيعٌ مِنَ الأَبْقَارِ الحَلوبَةِ، فَكَانَ لاَ يَطْمَئِنُّ بَالُهُ عَلَيْهَا إِلاّ حِيْنَ يَسْمَعُ أَصْوَاتَهَا مِنْ بَعِيدٍ، وَهِيَ عَائِدَةٌ إِلَيْهِ مِنَ الْمَرْعَى، وَكَذَلِكَ سَعِيْدٌ،

الَّذِي كَبُرَ قَطِيْعُ أَغْنَامِهِ فَمَلأَتْ بِثُغَائِهَا السَّهْلَ وَالْوَادِي، وَأَصْبَحَ الثَّلاثَةُ عَلَى حَالٍ مِنَ الغِنَىٰ كَبِيْرَةٍ، وابْتَعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ في جِهَةٍ مِنَ البَرَارِي، وازْدَادَتْ مَعَهُمُ الأَمْوَالُ، وَأَصْبَحَ لَهُمُ الْخَدَمُ والعُمَّالُ، وَاشْتَرَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بُسْتَاناً زَرَعَهَا بِطَيِّبِ الثِّمَارِ، وَأَصْبَحُوا مِنَ الأَثْرِيَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِكَثْرَةِ أَمْوالِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ.

الامتحان:

وفي ذَاتِ يَوْمٍ، كَانَ أَنِيْسٌ يَجْلِسُ كَعَادَتِهِ كُلَّ صَبَاحٍ تَحْتَ مِظَلَّةٍ كبيرةٍ، نَصَبَهَا فَوْقَ رَابِيَةٍ

مُرْتَفِعَةٍ مُطِلَّةٍ عَلَى السُّهُولِ الفَسِيحَةِ، وَقَدْ لَبِسَ أَجْمَلَ الثِّيَابِ وَأَحْلاَهَا، وَفَرَشَ مَجْلِسَهُ بِأَجْمَلِ الفُرُشِ وَالْمَسَانِدِ، يُدَاعِبُ النَّسِيْمُ شَعْرَهُ الفَاحِمَ الجَمِيلَ، وَهُوَ يَزْهُو بِهِ وَيُمَرِّرُ عَلَيْهِ الْمِشْطَ الفِضِّيَّ بَيْنَ حِيْنٍ وَآخَرَ، لأَنَّهُ يَعُدُّ نَفْسَهُ صَاحِبَ أَجْمَلِ شَعْرٍ فَوْقَ الأَرْضِ، يَسْعَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِ الخَدَمُ، يَأْتُونَهُ بِأَطْيَبِ الطَّعامِ وَأَلَذِّ الشَّرابِ، يَنْظُر بِإِعْجَابٍ وَزَهْوٍ دُون كَلَلٍ إلى إِبِلِهِ السَّارِحَةِ في البَرَارِي، يُتَابِعُهَا بِنَظَرَاتِهِ وَهُوَ يَتَمَنَّى مِنْهَا المَزِيْدَ، يَتَمَنَّى لَوْ تَمْلأُ كُلَّ سُهُولِ

المَعْمُورَةِ وَأَوْدِيَتِهَا، وَقَد أَضْحَتْ بِكَثْرَتِهَا أَكْبَرَ

قَطِيعٍ في المَعْمُورَةِ، وَأَصْبَحَ أَنِيْسٌ صَاحِبَ أَكْبَرِ

قَطِيْعٍ فِي البَادِيَةِ، وَصَاحِبَ أَجْمَلِ شَعْرٍ. كَذَلِكَ

وَبَيْنَمَا كَانَ أَنِيْسٌ مُسْتَرْسِلاً في تَأَمُّلاَتِهِ غَارِقاً

في تَفْكِيرِهِ، مُتَصَوِّراً الْمَزِيد مِنَ الإِبِلِ التي

سَيَمْتَلِكُهَا في الْمُسْتَقْبَلِ، إِذَا بِقَادِمٍ يَقْطَعُ عَلَيْهِ

تَأَمُّلاتِهِ، وَهَذَا الْقَادِمُ أَقْرَعُ فَقِيرٌ، فَسَلَّمَ عَلَى

أَنِيْسٍ، لَكِنَّ أنيساً لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ تَكَبُّراً

وَعُجْباً، وَاسْتِهْتَاراً بِهَذَا القَادِمِ الأَقْرَعِ الْفَقِيرِ،

بَلْ زَجَرَهُ بِعُنْفٍ، وَقَالَ لَهُ: ابْتَعِدْ عَنِ الفِرَاشِ،

وَلاَ تُؤْذِنِي بِمَنْظَرِ قَرْعَتِكَ البَغِيضِ، مَاذَا تُرِيْدُ مِنّي؟ وَكَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَى الظُّهُورِ أَمَامِيَ بِهَذَا الشَّكْلِ المَهِينِ؟ لَقَدْ قَطَعْتَ عَليَّ تَأَمُّلاَتِي وَتَفْكِيرِي في شُؤُوْني.

قَالَ الْفَقِيرُ: لاَ تُؤَاخِذْني أَيُّهَا السيِّدُ، إِنَّنِي أَقْرَعُ فَقِيرٌ كَمَا تَرَىٰ، أَتَيْتُ أَطْلُبُ مِنْكَ مُسَاعَدَةً أَسْتَعِيْنُ بِهَا عَلَى مُوَاصَلَةِ الحَيَاةِ. فَقَالَ أَنِيْسٌ: تَطْلُبُ مِنّي! اذْهَبْ مِنْ أَمَامِيَ وَلاَ تُرِنِي وَجْهَكَ أَبَداً، وَإِلاّ اسْتَدْعَيْتُ الخادِمَ لِتَأْدِيْبِكَ.

قَالَ الْفَقِيْرُ: أَسْأَلُكَ بالّذِي أَغْنَاكَ وَكَسَاكَ

الشَّعْرَ الْجَمِيْلَ، أَنْ تُعْطِيَنِي وَلَوْ نَاقَةً واحِدَةً مِنْ مَالِ الله.

قَالَ أَنِيْسٌ: مَاذَا تَقُولُ؟! وَبِمَنْ تَسْأَلُنِي! إِنَّ هَذا القَطِيعَ الّذِي تَرَاهُ أَمَامَكَ أَتَانِي بِسَبَبِ تَعَبِي وَسَهَرِيْ عَلَيْهِ، إِنَّهُ نَتِيْجَةُ كَدِّيْ وَعَرَقِ جَبِيْنِي، وَشَعْرِي هَذَا الّذِي تَرَاهُ، إِنَّهُ جَمِيْلٌ مُنْذُ صِغَرِي فَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَقْرَعَ الرّأْسِ، أَوْ فَقِيْراً في يوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ أَبَداً.. أَبَداً، اذْهَبْ يَا طَوِيْلَ اللِّسَانِ وابْتَعِدْ عَنّي، وَاطْلُبِ الرّزْقَ مِنْ غَيْرِي، فَأَنَا مَشْغُولٌ الآنَ وَلاَ أُعْطِي المُتَسَوِّلِينَ.

قالَ الفَقِيْرُ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فِيْمَا تَقُولُ، فَإِنِّي أَرْجُو مِنَ الله تَعَالَى أَنْ يُعِيْدَكَ إِلى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ، ثُمَّ تَرَكَهُ وَانْصَرَفَ.

وَبَيْنَما كَانَ بَدْرٌ (الأبْرَصُ سَابِقاً) يَجْلِسُ فِي بُسْتَانِهِ تَحْتَ شَجَرَةِ تِيْنٍ كَبِيرَةٍ، تَتَدَلَّى مِنْهَا ثِمَارُ التِّينِ الشَّهِيَّةُ الحُلْوَةُ النَّاضِجَةُ، مِثْلَ نُجُوْمِ السَّمَاءِ في لَيْلَةٍ صَافِيَةٍ لاَ قَمَرٌ فِيْهَا وَلاَ غُيُومٌ، وَأَمَامَ بَدْرٍ أَطْبَاقٌ مِنْ فِضَّةٍ، مَمْلُوءَةٌ بِأَشْهَىٰ الثِّمَارِ، وَقَدْ أَسْنَدَ ذِرَاعَهُ عَلَى أَرِيْكَةٍ حَرِيْرِيَّةٍ خَضْرَاءَ، وَهُنَاكَ عَدَدٌ مِنَ الأَرَائِكِ الأُخْرَى، تَحُفُّهُ عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ،

يَأْتِيهِ النَّسِيْمُ الغَضُّ لِيَمْسَحَ وَجْهَهُ وَيُدَاعِبَ لِحْيَتَهُ،

فَكَانَ يَتَنَاوَلُ بَعْضَ الثِّمَارِ وَيَقْضِمُهَا بَيْنَ حِيْنٍ

وَآخَرَ، وَهُوَ يَنْظُرُ بِإِعْجَابٍ إلى أَبْقَارِهِ الزَّاهِيَةِ

الأَلْوَانِ، الكَبِيْرَةِ الأَثْدَاءِ الّتِي تَخُورُ بِلا انْقِطَاعٍ،

كَأَنَّهَا قَد تَنَاوَبَتْ بِهَذَا الخُوَارِ، لِيَبْقَى صَوْتُهَا دَائِماً

مَصْدَرَ بَهْجَةٍ وَفَرَحٍ لِصَاحِبِهَا بَدْرٍ، وَلِيَشْعُرَ بِأَنَّهُ

أَكْبَرُ مَالِكٍ لِقَطِيعِ الأَبْقَارِ فِي بَلَدِهِ، وَأَنَّهُ صَاحِبُ

أَحْلَى جِلْدٍ أَيْضاً، لَقَدْ جَلَسَ بِكِبْرٍ وَزَهْوٍ، وَهُوَ

يَرْتَدِي قَطِيْفَةً حَمْرَاءَ مِنَ الْحَرِيرِ، قَدْ فُتِحَتْ

أَكْمَامُهَا مِنَ الأَعْلَى، لِيَبْدُوَ مِنْ تَحْتِهَا عَضُدَاهُ

الجَمِيلاَنِ، وَفَتَحَ صَدْرَهَا وَوَشَّاهُ بِالذَّهَبِ، وَهُوَ

تَارَةً يَتَأَمَّلُ أَبْقَارَهُ، وَتَارَةً يَنْظُرُ بِإِعْجَابٍ إِلى جِسْمِهِ

وَجِلْدِهِ، الَّذِي عَادَ لَهُ نَضَارُهُ، وَوَدَّعَ إِلى غَيْرِ

رَجْعَةٍ ذَلِكَ البَرَصَ المُؤْذِيَ المُنَفِّرَ، وَبَرزَ بَيْنَ يَدَيْهِ

فَجْأَةً رَجُلٌ أَبْرَصُ رَثُّ الثِّيابِ، مُدْقَعٌ مِنْ شِدَّةِ

الفَقْرِ الَّذِي يَبْدُو فِي وَجْهِهِ الأَصْفَرِ الشَّاحِبِ،

وَسَلَّمَ عَلَى بَدْرٍ بِصَوْتٍ هَادِىءٍ مُعْتَدِلٍ، وَمَعَ

ذَلِكَ، فَإِنَّ بَدْراً أُصِيْبَ بِهِزَّةٍ وَارْتِجَافٍ مِنْ تِلْكَ

المُفَاجَأَةِ الَّتِي قَطَعَتْ عَلَيْهِ تَأَمُّلَهُ وَتَفْكِيْرَهُ فِي نَفْسِهِ

وَبَقَرَاتِهِ، وَنَظَرَ إِلى الفَقِيرِ الأَبْرَصِ نَظْرَةَ احْتِقَارٍ

وَغَضَبٍ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيه السَّلامَ، بَلْ صَرَخَ فِي وَجْهِهِ، وَنَهَرَهُ لِتَجَرُّئِهِ في الدّخُولِ عَلَيْهِ، وَمُفَاجَأَتِهِ الّتِي أَدَّتْ إِلى ارْتِجَافِهِ بَغْتَةً، وَلكِنَّ الفَقِيرَ اعْتَذَرَ، وَطَلَبَ مَنْحَهُ مُسَاعَدَةً تُعِيْنُهُ في التَّغَلُّبِ على فَقْرِهِ، فَهَبَّ في وَجْهِهِ صَائِحاً، وَقَالَ لَهُ: اُخرُجْ مِنْ هُنَا وَلاَ تَقْتَرِبْ مِنّي، أَنْتُمْ أَيُّهَا المُصَابُونَ بِالْبَرَصِ أُنَاسٌ لا تَسْتَحُونَ، تَدْخُلُونَ عَلَيْنَا بِأَشْكَالِكُم القَذِرَةِ.. اُخْرُجْ مِنْ هُنَا، وَإِلاّ أَوْسَعْتُكَ ضَرْباً بِهَذَا السَّوْطِ، وَأَرَادَ الْفَقِيْرُ الأَبْرَصُ أَنْ يُذَكِّرَهُ بِمَاضِيْهِ السَّابِقِ، وَمَرَضِهِ المُنَفِّرِ، فَقَالَ: أَنَا أَبْرَصُ

فَقِيْرٌ كَمَا تَرَانِي، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي عَافَاكَ مِنْ بَرَصِكَ، وَكَسَاكَ الجِلْدَ الْجَمِيْلَ، وَمَنَحَكَ المَالَ الْوَفِيْرَ، إلاّ أَعْطَيْتَنِي بَقَرَةً واحِدَةً مِنْ مَالِ الله تَعَالى، لِكَيْ أَنْتَفِعَ بِهَا.

فَقَالَ لَهُ بَدْرٌ: مَاذَا تَقُوْلُ..؟ وَبِمَنْ تَسْأَلُنِي يَا طَوِيْلَ اللِّسَانِ؟. إِنّ هَذَا الْقَطِيْعَ الّذِي تَرَاهُ، نَمَا بِجُهْدِي وَعَرَقِ جَبِيْنِي، وَأَنَا لَمْ أَكُنْ في يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ كَمَا تَدَّعِي، اذْهَبْ مِنْ أَمَامِي أَيُّهَا الكَسُولُ المُتَوَاكِلُ، فَأَنا مَشْغُولٌ الآنَ.

قَالَ الْفَقِيْرُ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فِيْمَا تَدَّعِي فَإِنّي

أَرْجُو مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُعِيْدَكَ إِلى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ. ثُمَّ غَادَرَ البُسْتَانَ وَانْصَرَفَ.

سَعِيْدٌ يَنْجَحُ في الامْتِحَانِ:

كَانَ سَعِيْدٌ (الأَعْمَى سَابِقاً) جَالِساً فِي خَيْمَتِهِ الْكَبِيرَةِ، وَأَمَامَهُ دِلاَلُ الْقَهْوَةِ الفَاخِرَةِ المُعَدَّةِ لِكُلِّ قَادِمٍ، وَنِيْرَانُهُ المُؤَجَّجَةُ الجَاهِزَةُ لاِسْتِقْبَالِ الضُّيوفِ وإِكْرَامِهِمْ بِأَشْهَى الطَّعَامِ تَظْهَرُ مِنْ بَعِيدٍ، وَكَانَ لِسَانُهُ رَطْباً بِذِكْرِ اللهِ وَشُكْرِهِ عَلَى مَا أَفَاءَ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ الّتِي لاَ تُحْصَى، وَبَيْنَمَا هُوَ مُسْتَغْرِقٌ في تَدَبُّرِهِ وَتَفَكُّرِهِ

بِمَلَكُوتِ السَّمٰواتِ والأَرْضِ، إِذَا بِهِ يَسْمَعُ صَوْتَ عُكَّازٍ قُرْبَ خَيمَتِهِ، وَدَبِيْبَ أَقْدَام تَتَّجِهُ نَحْوَهُ، فَنَظَرَ إِلى جِهَةِ الصَّوْتِ، فَإِذَا أَعْمَى فَقِيرٌ قَادِمٌ نَحْوَهُ يَتَعَثَّرُ في مِشْيَتِهِ، فَنَهَضَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ وَقَادَهُ إِلى خَيْمَتِهِ، وَأَجْلَسَهُ في صَدْرِ الْمَجْلِسِ عَلَى فِرَاشِهِ، وَرَحَّبَ بِهِ أَجْمَلَ تَرْحِيْبٍ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ وَسَبَبِ قُدُومِهِ، فَقَالَ الأَعْمَىٰ: أَنَا فَقِيرٌ وَأَعْمَىٰ كَمَا تَرَى، دَفَعَتْنِي إِلَيْكَ الْحَاجَةُ.

قَالَ سَعِيدٌ: وَمَا حَاجَتُكَ؟.

قَالَ الأَعْمَىٰ: أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ الْمَالَ الْكَثِيرَ، وَرَدَّ عَلَيْكَ الْبَصَرَ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أَعْمَىٰ مِثْلِي، وَفَقِيراً لاَ تَمْلِكُ شَيْئاً مِنَ الْمَالِ، إلاّ أَعْطَيْتَنِي شَاةً واحِدَةً مِنْ أَغْنَامِكَ، لِكَي أَنْتَفِعَ بِهَا في مَعَاشِي.

قَالَ سَعِيدٌ: صَدَقْتَ فِيمَا نَطَقْتَ، لَقَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ الله عَلَيَّ بَصَرِي، وَكُنْتُ فَقِيراً فَأَغْنَانِي اللّهُ، وَأَعْطَانِي المَالَ الْوَفِيرَ. ثُمَّ نَادَىٰ سَعِيدٌ الرّاعِيَ، وَقَالَ لَهُ: أَعْطِ أَخَانَا مَا شَاءَ مِنَ الأَغْنَامِ، فَإِنَّ المَالَ مَالُ اللّهِ، وَقَادَ الرّاعِي

الأَعْمَىٰ إلى الأَغْنَامِ وَأَعْطَاهُ شَاةً بِنَاءً عَلَى طَلَبِهِ لأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَأْخُذَ أَكْثَرَ مِنْ شَاةٍ، ثُمَّ دَعَا لِسَعِيدٍ بِكُلِّ خَيْرٍ وَانْصَرَفَ.

النَّدَمُ:

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ سَرِيْعاً، فَإِذَا صَاحِبُ الإِبِلِ يَعُودُ أَقْرَعَ فَقِيْراً كَمَا كَانَ، لَقَدْ جَاءَتْ عَلَى إِبِلِهِ رِيْحٌ سَمُوْمٌ، فَقَضَتْ عَلَيْهَا جَمِيْعاً، وفي طَرْفَةِ عَيْنٍ أَصْبَحَ فَقِيراً مُعْدَماً، فَبَكَىٰ بُكَاءً شَدِيْداً وَاغْتَمَّ وَحَزِنَ، وَنَدَبَ حَظَّهُ العَاثِرَ التَّعِسَ، وَمِنْ كَثْرَةِ هَمِّهِ وَحُزْنِهِ مَرِضَ، وَارْتَفَعَتْ حَرَارَةُ

جِسْمِهِ، فَأَضْحَى طَرِيْحَ الفِرَاشِ، وَرَاحَ فِي غَيْبُوبَةٍ طَوِيْلَةٍ، ثُمّ صَحَا مِنْ رُقَادِهِ لِيَجِدَ شَعْرَهُ قَدْ تَنَاثَرَ كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ، فَتَحَسَّسَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَلَمْ يَجِدْ إِلاَّ جِلْداً ناعِماً مُنْتِنَ الرّائِحَةِ، فَازْدَادَ هَمُّهُ وَبَكَى أَسَفاً عَلَى مَا فَاتَ.

وَدَارَتِ الأَيَّامُ دَورَتَهَا عَلَى صَاحِبِ الأَبْقَارِ، فَاعْتَرَاهَا مَرَضٌ في حُلُوقِهَا، فَهَوَتْ صَرْعَى هَذَا المَرَضِ، وَأَصْبَحَتْ جُثَثاً مُنْتِنَةً، وَانْقَلَبَ البُسْتَانُ إلى مُسْتَنْقَعٍ لِلأَمْرَاضِ، فَهَجَرَهَا الزُّرَّاعُ، وَبَدْرٌ يُشَاهِدُ المَصَائِبَ ولاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً

لإِنْقَاذِ أَبْقَارِهِ، لَقَدْ فَاجَأَتْهُ بِتَلاَحُقِ مَوْتِهَا السَّرِيْع، ثُمَّ هَرَبَ مِنْ رَدَاءَةِ المِنْطَقَةِ وَانْتِشَارِ المَرَضِ فِيْهَا، وَآوَى إِلى بَيْتٍ خَرِبٍ بَعِيْدٍ، وَأَضْحَىٰ فَقِيراً لاَ يَلْوي عَلَى شَيءٍ، وَاهْتَمَّ وَأَصَابَهُ الحُزْنُ، وَمَكَثَ أَيَّاماً لاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ مِنْ هَوْلِ الكَارِثَةِ، فَتَشَقَّقَ جِلْدُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَتْ مِنْهُ القُرُوْحُ، وَعَادَ إِلَيهِ البَرَصُ المُنَفِّرُ.

وَتَمْضِي الأَيَّامُ فَيُرَاجِعُ فِيْهَا كُلٌّ مِنَ الأَبْرَصِ وَالأَقْرَعِ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِهِمَا أَيَّامَ الخَيْرِ وَالْعِزِّ، ثُمَّ يَتَذَكَّرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَيَّامَ الفَقْرِ وَالمَرَضِ،

وَيَحِنُّ كُلٌّ مِنْهُمَا إِلى الْجَلْسَةِ تَحْتَ شَجَرَةِ التُّوتِ

فَلَعَلَّهُمَا يَنْسَيَانِ هُنَالِكَ الهُمُومَ، وَيَمْشِي كُلٌّ مِنْهُمَا

إلى تِلْكَ الشَّجَرَةِ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ سَابِقٍ، يَصِلُ

الأَقْرَعُ إلى الشَّجَرَةِ وَيَجْلِسُ في ظِلِّهَا، وَبَعْدَ بِضْعِ

دَقَائِقَ يَصِلُ إِلَيْهَا الأَبْرَصُ، يَا لَلْمُفَاجَأَةِ! صَدِيْقِي

أَنِيْسٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَيَقُومُ أَنِيْسٌ لِيُسَلِّمَ عَلَى بَدْرٍ

ثُمَّ يَجْلِسَانِ، وَيَنْظُرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إلى الآخَرِ

نَظْرَةَ إِشْفَاقٍ وَحُزْنٍ، لَقَدْ رَأَىٰ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

صُوْرَتَهُ في شَكْلِ صَدِيْقِهِ، وَأَدْرَكَا خَطَأَهُمَا، ثُمَّ

نَظَرا نَحْوَ الأَعْلَى إِلى شَجَرَةِ التُّوتِ، والْتَفَتَ بَدْرٌ

وَقَالَ لأَنِيْسٍ: تُرَى هَلْ يُدْرِكُنَا سَعِيدٌ؟ قَالَ أَنِيسٌ:

لاَ أَدْرِي لَقَدْ تَأَخَّرَ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّهُ

سَيَأْتِي، وَعُذْرُهُ أَنَّهُ أَعْمَى كَمَا تَعْلَمُ، لِذلِكَ يَحْتَاجُ

إِلى وَقْتٍ أَطْوَلَ لِقَطْعِ الطَّرِيقِ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَنِيْسٌ

وَبَدْرٌ مُنْهَمِكَيْنِ فِي الحَدِيْثِ، دَنَا مِنْهُمَا رَجُلٌ

وَسِيْمٌ بَهِيُّ الطَّلْعَةِ سَلِيْمُ العَيْنَيْنِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا،

وَقَالَ مُدَاعِباً: أَرَاكُمَا هُنَا يَا صَدِيْقَيَّ، لَقَدْ عُدْتُمَا

إِلى هَذَا المَكَانِ بَعْدَ انْقِطَاعٍ طَوِيْلٍ، فِيْمَ غِيَابُكُمَا؟

فَالْتَفَتَا إِلَيه مُتَعَجِّبَيْنِ، وَقَالاَ بِتَرَدُّدٍ: أَأَنْتَ صَدِيْقُنَا

الأَعْمَى؟!.

قالَ: نَعَمْ لَقَدْ كُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلى هُنَا دَائِماً مِنْ قَبْلُ، عَلّي أَرَاكُمَا لِنَجْلِسَ مَعَاً، وَنُعِيْدَ ذِكْرَيَاتِ أَيّامِنَا، وَنَحْنُ في حَالَةٍ مِنَ الغِنَى وَالصِّحَّةِ، لَكِنْ كُنْتُ آتِي فَأَجْلِسُ وَحْدِي ثُمَّ أَعُوْدُ إلى عَمَلِي.

قَالَ بَدْرٌ: أَنْتَ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ وَقَدْ كُنَّا مِثْلَكَ نَرْفُلُ في النَّعَمِ، وَلَكِنْ..

وَقَالَ أَنيس: كُنَّا نَتَوَقَّعُ أَنْ نَراكَ عَلَى حَالِكَ السّابِقِ، فَقِيراً أَعْمَىٰ، إِنّمَا عَجِيْبٌ أَمْرُكَ يا سَعِيدُ.! قَالَ سَعِيدٌ: لاَ تَعْجَبَا يَا صَدِيْقَيَّ،

لَقَدْ حَبَانِي اللهُ بالنِّعَمِ فَشَكَرْتُ، وَزَادَني فَزِدْتُ حَمْداً وشُكراً، وَتَصدَّقْتُ عَلَى الفُقَراءِ والمُحْتَاجِينَ، لأَنَّ المَالَ مَالُ اللهِ، اسْتَخْلَفَنِي عَلَيْهِ فَحَفِظْتُهُ، وأَدَّيْتُ حَقَّهُ، وَلَمْ أَبْخَلْ في الإِنْفَاقِ عَلَى مَشْرُوعَاتِ الخَيْرِ، وَيَبْدُو لِي أَنَّكُمَا بَخِلْتُمَا وَلَمْ تَتَصَدَّقَا، بَلْ أَنْكَرْتُمَا فَضْلَ اللّهِ عَلَيْكُمَا وَرِزْقَهُ لَكُمَا، عِنْدَمَا كُنَّا فُقَرَاءَ، لُمْنَا الأَغْنِيَاءَ لِتَقْصِيرِهِمْ، أَفَنَبْخَلُ عَلَى الفُقَرَاءِ عِنْدَمَا أَصْبَحْنَا أَغْنِيَاءَ وَنَحْنُ الَّذِينَ عَرَفْنَا مَرَارَةَ الفَقْرِ؟ لَقَدْ امْتَحَنَنَا اللّهُ أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ، سَقَطْتُمَا،

وَنَجَحْتُ وَالْحَمْدُ للّهِ الذي ثَبّتَنِي عَلَى شُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ.

وَهُنَا دَمَعَتْ عَيْنَا كُلٍّ مِنْ بَدْرٍ وَأَنِيسٍ، وَهزَّا بِرَأْسَيْهِمَا تَأَسُّفاً وَحَسْرَةً وَنَدَامَةً، وَفِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ سَقَطَتْ بالقُرْبِ مِنْ سَعِيدٍ بِضْعُ حَبّاتٍ مِنَ التُّوتِ، فَالْتَقَطَهَا وَوَضَعَهَا في فَمِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: شُكْراً للّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَانْصَرَفَ إِلى عَمَلِهِ تُلاحِقُهُ عُيُونُ رَفِيقَيْهِ المُفْلِسَيْنِ..